

العودة المتخيلة - الحاضر

مايا أبو الحيات *

على الطريق رقم ٦

عودة ١

فوق الطريق رقم ٦
 بين تل أبيب والقدس
 حيث يدفع السائقون بدل استخدامهم للشوارع
 تنقل الباصات من الجانبين
 العائدين إلى الرملة
 في باص آخر حمل العائدون إلى اللد بيارقهم
 ليدخلوا موسم النبي صالح
 آمنين
 العدالة كانت تمشي عند الخط الأصفر
 وتعيد للشوارع أسماءها.
 رحمة - التي نجت من الحريق في السابعة
 لأن قدميها السريعتين
 حملتاها بعيداً عن حفلة الشواء العائلية
 لأهالي الطيرة -
 تستند على عكازة مستأجرة من مستشفى البشير
 لن تردها بعد اليوم
 وتنظر من نافذة الباص المكيف
 علمها الوقت
 أن الأحلام لا تتحقق بالإرادة ولا حتى بمرور الأعوام
 الأعوام التي تنفرط كالمسبحة

* كاتبة فلسطينية.

أو عنقود العنب
 في صحن الأطفال
 وأسفل سرائرهم
 لا تتحقق الأحلام بل تدفع الجسد إلى الأمام
 القرارات تأخذها الاحتياجات
 مهما كانت تافهة:
 وجع المفاصل؛
 المصاريف؛
 وكثرة المراهقين؛
 الرطوبة على الجدران؛
 وأطراف الأسرة القديمة.
 الاحتياجات تقصص للأحلام أجنحتها
 وللحقّ رجليه
 ورحمة التي كانت تعدو بقدميها الحافيتين
 مثل عداءة أفريقية في أولمبياد سيدني
 لم يظفر بها الزهايمر أو الخرف
 لهذا كلما رفعت قامتها لتشم نسائم بحر حيفا
 تسد أنفاسها
 روائح اللحم والشعر والأظافر
 المشوية
 الموت.
 الوحش
 الذي غلفناه بالقصص الرومانسية
 كما تغلف النصوص السيئة
 بالكلمات الجميلة
 يطل من الطرف الآخر للنافذة
 حيث الانعكاس يكاد أن يحدد لك كيف سيكون شكل النهاية
 لا يوجد فرصة أخرى
 ربما تكون الأخيرة
 هذه الطريق
 طريقك رقم ٦
 مدفوعة الأجر.

عودة ٢

الشمس تخترق الأوراق الخضراء
 مثل لوكس قديم في ليلة معتمة
 طريق الباذان* ملتوية وخطيرة
 ويمكن للحوادث أن تقع،
 أن تسقط سيارة أو حجر
 من أعلى
 إلى أسفل.

الوميض يخترق عيني التي كانت نائمة
 كم هو خارق هذا الطريق الذي يأخذني إلى نابلس؛
 عودة أبي من منفاه
 وخروجي من مكاني.

السيارة المرسيدس بمقاعد السبعة
 يقودها رجل أسمر من أريحا
 لا تتوقف عن الهز.

أي عالم هو هذا العالم
 طريق الباذان والمياه الباردة
 التي تعطي للمنتزهات أسماءها
 وتملأ الكراسي البلاستيكية بالموخرات
 التي تتحلق حول البطيخات المتسلقة لسطح الماء
 بُغية البرد؟

أي عالم هو هذا العالم
 بين أريحا ونابلس
 أخفض نقطة وأعلىها؟
 "العودة"، يقول أبي وتدمع عينه المصابة بشظية من حرب قديمة
 حين كان يلبس الكاكي
 وينام مع المسدس
 ويأكل البطيخ المحرز من دون شوكة وطبق.

الجميع في السيارة نيام وخائفون
 الجميع يعرف أن كل من في السيارة

* وادي الباذان منطقة طبيعية خلابة تقع على بعد ٥ كم إلى الشمال الشرقي من مدينة نابلس على الطريق المؤدية إلى غور الأردن.

خائف عدا سائقها
 الأسمر من أريحا الذي يريد العودة باكراً
 لتسجيل دوره
 في صف سيارات الأجرة الطويل.

عودة ٣

”هل نحن بشر؟“
 يسأل الكتاب بغلافه الأصفر.
 نعيش في تصاميم الآخرين وأحلامهم
 فيما فعلته الريح بالشجرة منذ آلاف السنين
 فوق مستحاثات حيوانات وبشر وعقارب
 داخل بطن حيتان وجذور أشجار وأصداء محادثات ليلية لسكان الكهوف
 نتجول في شوارع مهندسين وحطام معاول حادة
 في مخططات بلديات قديمة وداخل عقل عجوز نزق.
 كلامنا عن الروح الحرة والمعتقدات والأرض البريئة
 جزء من التصميم،
 برغي في عقل الكرسي الهزاز
 الذي يعطي الكون دفقة الشغف.

عودة ٤

كتبوا آلاف الرسائل
 نشروها فوق حبال الغسيل
 لتنشف من الحبر والدم
 وحين جاءت الريح
 صنعت ما تصنعه بالعادة
 الحفر والحف؛
 نقلت حروفاً وأعضاء
 وتركت ما يثقل حمله مشوهاً،
 لهذا كلما بحثوا في ذاكرتهم عن طريق
 عن برتقالة
 أو زيتونة

أو إطلالة من نافذة
لم يجدها
هكذا صنعت الأساطير
بالحفّ والحفر
بالتقطير
باستدراج الذاكرة المرير
أنت لا تعرف
كم هو مرير
أن تبحث في الخريطة عن ذكرى
وتجد جثتها. ■

صدر حديثاً عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية

فلسطين دُولياً: صعود اليمين في العالم وإعادة رسم التحديات

تحرير: جميل هلال ومدير فخر الدين وخالد فراج

٢٧٧ صفحة ١٠ دولارات

صدر حديثاً عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية

الاحتجاج الشعبي في فلسطين المستقبل المجهول للمقاومة غير المسلحة

مروان دوريش و أندرو ريغبي

٢٨٥ صفحة ١٠ دولارات